كلمة

سعادة الأستاذ الدكتور

عبد الستار عبد الحق الحلوجي

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

للدراسات الإسلامية (بالاشتراك) لعام 1418هـ/1998م

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء،
وزير الدفاع والطيران والمفتش العام
أصحاب السمو الأمراء
أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فإني أحمد الله على مزيد فضله وجزيل عطائه وعظيم آلائه.
وما أظنني بحاجة إلى التنويه بما تحتله المملكة العربية السعودية من مكانة في نفوس المسلمين على اختلاف ديارهم ومنازلهم. فهذه الأرض الطيبة باركها الله وبارك حولها، وجعلها قبلة للهداة والمهتدين، ومهوى أفئدة ملايين المسلمين على مرّ العصور. وهذا الرصيد الهائل من الحب والتقدير الممتزج بلواعج الشوق والحنين لم يأت من فراغ، فمنذ أربعة عشر قرناً من الزمان حمل أبناء هذه المنطقة رسالة الله إلى البشر في شتى بقاع الأرض، فملأوا الدنيا بنور الإيمان. ومنذ قيام الدولة السعودية وهي تضطلع بدور بارز في تصحيح العقيدة ومحاربة البدع والضلالات، وردّ الناس إلى جوهر الدين الحنيف. وقد جاءت جائزة الملك فيصل لتضيف إلى الدور الروحي الرائد للمملكة دوراً حضارياً متميزاً يتمثل في تكريم النابهين من العلماء والمبدعين.

ولعل مما يضاعف من قيمة الجائزة، ويزيدها بهاءً ورُواءً، أنها تحمل اسماً عزيزاً على كل مسلم هو اسم الملك فيصل الذي كان سياسياً فذاً وزعيماً ملهماً. وكان بالنسبة لأمته العربية عقلها المتفتح وضميرها الحي وقلبها الكبير.

ومن عجب أن الملك فيصل، الذي كان في حياته عطاءً ربانياً لأمته العربية والإسلامية، أصبح بعد وفاته عطاءً ربانياً للبشرية كلها من عرب وأجانب ؛ مسلمين وغير مسلمين، عطاءً يتجدد كل عام ويمتد إلى كلِّ من قدَّم خدمةً جليلةً للدعوة الإسلامية، أو أسهم إسهاماً رفيعاً في الدراسات الإسلامية والعربية، بل وفي الطب والعلوم التي تخدم الإنسانية كلها. وهو عطاءٌ يؤكِّد عظمة الإسلام وعالميته وسماحته ونبذه لأي عصبية عرقيه أو إقليميه.

وقد استطاعت الجائزة أن تحتلَّ مكانها بين الجوائز العالمية المشهود لها، كواحدة من أكبرها وأعظمها قدراً، وتعلقت بها الأبصار، واشرأبت لها الأعناق، وهفت إليها القلوب، وأصبح بلوغها شرفاً يُحْرَصُ عليه، وتكريماً يَطْمَحُ إليه كل باحث مجيد. والفضل في ذلك يرجع إلى توفيق الله أولاً، ثم إلى جهود القائمين عليها وما يتمتعون به ويتحرَّونه من أمانةٍ وتجرُّدٍ وموضوعيةٍ وإخلاص.

وإني لأرى من واجبي أن أتقدم – باسم آلاف المشتغلين بعلوم المكتبات، والمكتبيين المنشرين في مشارق الأرض ومغاربها – بالتحية والتقدير لاختيار "المكتبات وصناعة الكتاب عند المسلمين " موضوعاً للجائزة هذا العام. وتلك لفتة كريمه تعبر عن رؤية مستنيرةٍ للدراسات الإسلامية، لا تقصرها على علوم الدين فحسب، وإنما تنطلق بها إلى آفاق أرحب لتستوعب مناحي الحياة كافة التي رسمها الإسلام للفرد والمجتمع.

وإذا كانت الكلمة المكتوبة لم تفقد سحرها على مرّ العصور فللحقِّ أقول إنها احتلت مكاناً متفرداً في الحضارة الإسلامية. ويكفى أن أشير هنا إلى تكريم الإسلام للعلم والعلماء، وإلى أنَّ أوَّل كلمةٍ تنزَّلت على نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام هي أمرٌ بالقراءة (إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الأكرم* الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم *) وأي تشريفٍ أكبر من أن تبدأ أولى آيات الذكر الحكيم بالقراءة وتُخْتَمُ بالكتابة ؟!.

ولهذا ننظر فنرى الكتابة العربية وصناعة الكتاب تتطور في ظل الإسلام تطوراً مذهلاً، ونرى الكتب والمكتبات ترتبط بالمساجد على امتداد التاريخ الإسلامي كله، وأصبح الكتاب الإسلامي وعاءً لمختلف العلوم والمعارف العقلية والنقلية على السواء، وانتشرت المكتبات الإسلامية وتنوعت وزخرت بأعداد ضخمة من المؤلفات قُدِّرت بالملايين في بعض الروايات. ولم يقتصر دور هذه المكتبات على تنظيم تلك المجموعات الكبيرة وتيسير استخدامها، وإنما وصل الأمر ببعضها إلى درجةٍ أنها كانت تُقَدِّمُ للباحثين الورق والمداد والطعام والنفقة. وهو أمرٌ لمْ تبلغه أية مكتبةٍ في العصر الحديث مهما أوتيت من الثراء المادي والتقدم التقني.

وهكذا كان تاريخ الكتب والمكتبات عند المسلمين صفحة مضيئه وحلقة ذهبية في سلسلة الحضارة الإسلامية، واستطاع الإسلام أن ينقل هذه الأمَّةَ الأُميَّةَ في سنواتٍ معدودات إلى أمةٍ قارنةٍ تتقدم الصفوف، تحمل في إحدى يديها كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما قام حولهما من علوم، وتحمل في اليد الأخرى ما حققته من إنجازاتٍ لم تُسْبَقْ إليها في مختلف فروع المعرفة كالرياضيات والطب والصيدلة والكيمياء والفلك.

تلك لمحة سريعة أردت بها أن أجيب عن سؤال قد يثور في بعض الأذهان عن صلة الكتب والمكتبات بالدراسات الإسلامية موضوع الجائزة.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن اختم كلمتي بالشكر المتجدد لله سبحانه على نِعَمِهِ التي لا تعدّ ولا تُحصى، ثم لمؤسسة الملك فيصل الخيرية وهيئة جائزتها العالمية، والدعاء للمغفور له جلالة الملك فيصل بأن يتغمده الله بواسع رحمته وأن يجعل هذه الجائزة في ميزان حسناته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.